الغض ومشتقاته ونظائره في القرآنِ الكريم [دِراسَة موضوعِيةٌ]

د. وليد محمد العمودي*

سلم البحث في ١٤٣٩/١١/٢هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٣٩/١٢/٧هـ

ملخص البحث:

تناولتْ هذه الدراسة التي بعنوان (الغض ومشتقاته ونظائره في القرآن الكريم– دراسة موضوعية)، معاني لفظة (غض) ومشتقاتها ونظائرها في السياق القرآني، منها: النقص، والخفض، والطراوة، ويكون من البصر، ومن الصوت، ومن الماء، ومن مدة الحمل، فإذا كان من البصر فهو محمود، قد أمر الله به، ونهى عن إطالة النظر إلى ما حرم النظر إليه من عورات، أو من زينة الحياة الدنيا التي متع بها الكافرين، ونظائره في القرآن هي: قصر الطرف، وخشع الأبصار، ولا تمدن عينيك، وإذا كان من الصوت، فهو محمود أيضا، فمن آداب الإسلام خفض الصوت وعدم الجهر به فوق الحاجة إلا للضرورة – كالنداء للصلاة، ونظائره هي، إسرار القول، وخشع الصوت، والهمس، وركز القول، وخفت الصوت، والقول اللين، وإذا كان من الماء، فهو نقصه أو ذهابه، ونظائره: الغور، والذهاب، وأما غيض الأرحام، فهو ما تنقصه مدة الحمل عن التسعة أشهر، أو ما تخفيه الأرحام من الأجنة، وأوصت الدراسة بضرورة غض البصر عن النظر إلى المحرمات، وكذلك عدم الجهر بالصوت أكثر من الحاجة إليه، وضرورة نشر هذه الثقافة.

Abstract:

This study is entitled "Al-Ghad (lowering) and its Derivatives and Analogies in the Holy Quran – An Objective study)

It discusses the different meanings of the word 'Al-Ghad' and explains its derivatives and analogies in the Quranic context. The different meanings include 'shortage', 'lowering', and 'softness'. These meanings apply to the sight, the voice, water and the period of pregnancy.

When it applies to sight, Al- Ghad means 'lowering the gaze', which is something good. It was commanded by Allah not to prolong our gaze to what is impermissible. As for its analogies, it is the 'shortening the gaze', 'humbling the gaze', and 'don't strain your eyes'.

When it applies to voice, Al- Ghad means 'lowering voice' which is something good too. Part of the ethics of Islam is to speak softly except for necessity - such as prayer calling. Its analogies are 'to tell secretly', 'humbling the voice', whispering, 'faint sound', 'softening the voice', and 'soft speech'.

* أستاذ مساعد قسم التفسير وعلوم القرآن، بكلية أصول الدين، بالجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين.

When it applies to water, it means the 'rarity of water', and the analogy of it is loss of water.

Al-Ghad also means to the period that is less than nine months pregnancy period, or what hidden in the womb.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا ﷺ عبده ورسوله، وبعد، فإن الله ﷻ خلق عباده لعبادته، قال تعالى:﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [٥٦: الذاريات]، ولم يتركهم دون بيان أو إيضاح لما يجب عليهم أن يفعلوه، أو ما يجب عليهم أن يجتنبوه، فقال تعالى: ﴿وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم﴾ [١١٥: التوبة]، وقال تعالى: ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ [١٥: الإسراء]

ولقد كان مما بينه الله ﷻ لنا وجوب غض البصر عن النظر إلى ما حرم النظر إليه؛ لأن في ذلك مصلحة للعباد في حفظ الأعراض، وحفظ النفوس، وحفظ العلاقات الاجتماعية، وحفظ الأنساب، وحفظ النسل وطهارته، وكذلك غض الصوت لما يترتب على عدم غضه من التكبر والتعالي كما أذى الجيران أو المارة من المسلمين، من أجل ذلك رأيت أنه من المناسب بمكان أن أكتب بحثا أبين فيه أحكام الغض وفوائده وأنواعه وما يشاكله من مشتقات ونظائر، وأسال الله العلي القدير أن يوفقني لما فيه الخير والهدى والرشاد، وأن ينفعني والمسلمين بهذا البحث، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

خطة البحث:

أولا: أهمية الموضوع: تبرز أهمية الموضوع من خلال النقاط التالية:

١- هذا الموضوع يتعلق باستقامة العباد على دين الله.

٢- في هذا الموضوع بيان ما يحقق سلامة النفوس وسلامة الصدور.

٣- يوجه هذا الموضوع لطهارة الأعراض والأنساب.

٤- يوضح هذا الموضوع ما يحقق علاقات اجتماعية طيبة ونظيفة.

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع:

١- بيان أحكام غض البصر.

٢- بيان أحكام غض الصوت.

٣- إيضاح جمال التشريع الإسلامي وتميزه عن غيره.

ثالثا: أهداف البحث:

١- بيان أصل الغض لغة واصطلاحا، واستخداماته في السياق القرآني.

٢- ذكر أنواع الغض التي ذكرت في القرآن الكريم.

٣- تحديد القيم التربوية والاجتماعية المستفادة من أحكام الغض.

٤- بيان ما يترتب على ترك الغض من آثار سلبية على الفرد والمجتمع.

رابعا: الدراسات السابقة:

بعد البحث والمطالعة تبين لي أن موضوع الغض قد تم تناوله بشكل جزئي وغير مفرد، كما تم تناوله في ثنايا كتب التفسير دون تخصيص، ولم أعثر على أي بحث علمي محكم أفرد لدراسة هذا الموضوع، أو خصص له بالطريقة التي عرضتها وما يترتب عليها من دلالات وآثار وثمار دعوية وتربوية، فأوضحت في هذا البحث ما لم أجده موضحا في الدراسات السابقة، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

خامسا: منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي الموضوعي، وذلك من خلال وصف الغض، والوقوف على أقوال العلماء والمفسرين في ذلك، ثم الخروج بخلاصات فقهية ودعوية وتربوية يمكن الاستفادة منها في الواقع المعاصر.

سادسا: هيكل البحث:

تطلب البحث أن يكون هيكله على النحو التالي: مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وهيكل البحث.

المبحث الأول: معنى غض لغة واصطلاحا. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى غض لغة.

المطلب الثاني: معنى غض اصطلاحا.

المطلب الثالث: مادة (غض) في السياق القرآني.

المبحث الثاني: غض البصر، ومشتقاتها، ونظائرها، في القرآن: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: غض البصر، (يغضوا) و(يغضضن).

المطلب الثاني: نظائر (غض البصر) في القرآن.

المبحث الثالث: غض الصوت ومشتقاتها ونظائرها في القرآن. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: غض الصوت ومشتقاتها.

المطلب الثاني: نظائر غض الصوت.

المبحث الرابع: غيض الماء ونظائرها في القرآن. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: غيض الماء.

المطلب الثاني: نظائر غيض الماء.

المبحث الخامس: غيض الأرحام.

الخاتمة: وهي تشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول
معنى غض لغة واصطلاحا
المطلب الأول: معنى غض لغة

قال الفراهيدي في كتاب العين:"غض: الغَضُّ والغَضيضُ: الطَّرِيُّ، والغَضُّ والغَضاضة: الفُتُورُ في الطَّرْف، وغَضّ غَضّاً وأَغْضَى إغضاءً أي: دانَى بينَ جَفْنَيْهِ ولم يُلاقِ."[1]، والغض عند الفراهيدي تجمع بين معاني الطراوة وقد تكون من الجمال، أو من الضعف، ومعاني الفتور والكف والقلة، وقال الجوهري: غض طرفه، أي خفضه، وغض من صوته أي خفض منه، وكل شيء كففته فقد غضضته(٢)، وقال ابن فارس: "(غض) الغين والضاد أصلانِ صحيحانِ، يدلُّ أحدُهما على كفٍّ ونَقْص، والآخر على طراوة. فالأوّل الغَضّ: غضُّ البصر، وكلُّ شيءٍ كففتَه فقد غَضَضْتَه، ومنه قولهم: تلحقُه في ذلك غَضَاضةٌ، أي أمر يَغُضُّ له بصرَه، والغَضْغَضة: النُّقْصان... ويقولون: هو بحرٌ لا يُغَضْغَض، وغَضْغَضْت السِّقَاءَ: نقصتُه. والأصل الآخر: الغَضُّ: الطريُّ من كلِّ شيء، ويقال للطَّلْع حين يطلُعُ: غَضيض."[3]

وعلى هذا يكون كلام ابن فارس موضحا لمعنى النقص المعنوي: من انكسار النفس وذلها، والمادي الحقيقي: في الغض، ومعنى الطراوة، والطراوة تكون في الشيء لعدم اكتمال خلقته غالبًا، فهو سهل الثني والتغلب عليه، قال الراغب الأصفهاني: "غض: الغض النقصان من الطرف والصوت، وما في الإناء، يقال: غض وأغض، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[٣٠:النور]،﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ﴾ [٣١: النور]- ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾[١٩: لقمان]، وغضضت السقاء، نقصت مما فيه،

والغض الطري الذي لم يطل مكثه."(٤)، وقال ابن منظور:"(غضض) الغَضُّ والغَضِيضُ الطَّرِيُّ، وفي الحديث: "مَنْ سَرَّه أَن يَقرأَ القرآن غَضّاً كما أُنْزِلَ فَلْيَسْمَعْه من ابنِ أُمّ عَبْدٍ"(٥)، الغَضُّ: الطريّ الذي لم يتغير... الأَصمعي إِذا بدا الطَّلْعُ فهو الغَضِيضُ، فإِذا اخْضَرَّ قيل: خَضَبَ النخلُ، ثم هو البلح... والغَضاضةُ: الفُتُورُ في الطرف، يُقال: غَضَّ وأَغْضى، إِذا دانى بين جفنيه ولم يُلاقِ. قال الأَزهري: عليه غَضاضةٌ أَي ذُلّ، ورجل غَضِيض: ذَلِيلٌ بَيِّنُ الغَضاضةِ من قوم أَغِضّاءَ وأَغِضّةٍ، وهم الأَذِلاّءُ؛ وغَضَّ طَرْفَه وبَصره يَغُضُّه غَضّاً وغَضاضاً وغِضاضاً وغَضاضةً فهو مَغْضُوضٌ وغَضِيضٌ: كفَّه وخَفَضَه وكسره. وغَضَّ من صوته... وفي التنزيل: ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾[١٩: لقمان] أَي اخْفِضِ الصوت..وأَهل نجد يقولون: غُضَّ طرْفَك... وغَضَّ الطرْفَ أَي كَفَّ البَصَرَ.. والغَضْغَضةُ النقص، وتَغَضْغَضَ الماءُ نقَص. وغَضْغَضَ الماءَ والشيءَ فَغَضْغَضَ وتَغَضْغَضَ نقَصه فنَقَصَ..."(٦)

يظهر التطور اللغوي باستعمال اللفظة في غير ما وضعت له ابتداءً، وقد جمع ابن منظور معاني اللفظة ومنها: الطري لجماله، والفتور، والذل، وغض البصر: كفه وخفضه وكسره من ذل أو فرح أو حياء، وكذلك غض الصوت، والكف والميل. وقال السمين الحلبي: "غ ض ض": قوله تعالى:﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[٣٠: النور] أي ينقصوها به وهو كناية عن قصور الطرف عما لا يحل النظر إليه. يقال: غض بصره ولسانه، أي قلل من فعلهما..."(٧)، يظهر من قول السمين إن الغض: نقص وقصور متعمد في أداء الآلة، والطراوة، والخفض. قال أبو البقاء الكفوي: "الغض: غض طرفه: خفضه وغض من صَوته، وَالْأَمر مِنْهُ فِي لُغَة أهل الْحجاز أغضض من صَوْتك وَفِي لُغَة أهل نجد: غض طرفك بِالْإِدْغَامِ".(٨)

الخلاصة:

وخلاصة القول: إن الغض يكون بمعنى النقص المادي والمعنوي، ويكون اختيارًا وإكراهًا، ويكون بمعنى الخفض والكف، ويكون طراوةً سجيةً وخُلقًا محمودًا ومذمومًا، ويكون في البصر، والصوت، والحقوق، والماديات.

المطلب الثاني
معنى غض اصطلاحا

يمكن صياغة تعريف الغض اصطلاحا من خلال الوقوف على المعاني اللغوية لتنوعه، حيث تارة يكون من البصر، وتارة من الصوت، وتارة أخرى من الماء

ومرة من الأجل. فإذا كان الغض من البصر، فتعريفه: صرف المرء بصره عن التحديق وتثبيت النظر، وذلك بخفضه وإنقاصه، أو بإطباق الجفن على العين بحيث تمتنع الرؤية(٩)، وإذا كان الغض من الصوت، فتعريفه: خفض الصوت وإنقاصه دون تكلف رفعه، والأخذ منه بقدر الحاجة فقط؛ لأن الجهر بأكثر من الحاجة يؤذي ويخرج عن التواضع.(١٠)، وإذا كان الغض من الماء، فتعريفه: ذهاب الماء واختفاؤه أو نقصه حتى تذهب زيادته عن الأرض.(١١)، وأما إذا كان الغيض من الأجل، فتعريفه: هو النقصان من أجل الحمل عن تسعة أشهر.(١٢)

المطلب الثالث

مادة [غض] في السياق القرآني

بعد البحث في كتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، والبحث الإلكتروني، تم حصر المادة في ستة مواضع وهي:

١. يغضوا: فعل مضارع –بياء الغيبة–. مجزوم واقع في جواب الطلب لغرض الأمر: مرة واحدة فقط. قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [٣٠: النور]

٢. يغضضن: فعل مضارع ـ بياء الغيبة ـ مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، غرضه الأمر: مرة واحدة فقط. قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [٣١: النور]

٣. يغضون: فعل مضارع ـ بياء الغيبة ـ مرفوع: مرة واحدة فقط. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [٣: الحجرات]

٤. اغضض: فعل أمر مبني على السكون: مرة واحدة فقط. قال تعالى: ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [١٩: لقمان]

٥. تغيض: فعل مضارع ـ بتاء المخاطب ـ مرفوع: مرة واحدة فقط. قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[٨: الرعد]

٦. غيض: فعل ماضي مبني على الفتح: مرة واحدة فقط. قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [٤٤: هود]

وبعد حصر المادة في السياق القرآني، نقف وقفة تحليلية مع صيغ "غض"

المذكورة أعلاه ومشتقاتها ونظائرها، ونظرة على السياق القرآني الذي وردت فيه لنقف على معانيها ودلالاتها ومقاصدها.

المبحث الثاني
غض البصر ومشتقاتها ونظائرها في السياق القرآني
المطلب الأول: غض البصر، يغضوا ويغضضن

المسألة الأولى:

جاء الأمر بغض البصر في سياق حفظ العورات داخل البيوت لبيان حرمتها، وعدم دخولها إلا بإذن أهلها، وكذلك حفظها من النظرة المحرمة سواء داخل البيت أم خارجه، ولما كانت النظرة الأولى العابرة غير مؤاخذ عليها، وأن النظر بعضه محرم فجيء بـ(من)، "يغضوا" فعل مضارع واقع في جواب الطلب لغرض الأمر، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [٣٠: النور]

سبب النزول:

"عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: مرَّ رجل على عهد رسول الله ﷺ في طريق من طرقات المدينة، فنظر إلى امرأة ونظرت إليه، فوسوس لهما الشيطان: إنه لم ينظر أحدهما إلى الآخر إلا اعجاباً به، فبينا الرجل يمشي إلى جنب حائط ينظر إليها، إذ استقبله الحائط فشق أنفه، فقال: والله، لا اغسل الدم حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعلمه أمري، فأتاه فقصَّ عليه قصته، فقال النبي ﷺ: "هذا عقوبة ذنبك" وأنزل الله: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ... ﴾ الآية" (١٣). و هذا نصٌ على أنَّ النظر للمحرمات ذنب، وأنه من وسوسة الشيطان.

اللطائف البيانية والتربوية:

١. جيء بالفعل المضارع ﴿يَغُضُّوا﴾ الذي يفيد الاستمرارية وتجدد الخطاب بالتكليف كلما، اقتضت الحال كف البصر.

٢. فعل "غض" يحمل معنى الطراوة والليونة؛ فيكون المسلم مستسلمًا للتكليف الشرعي بكل ليونة وسهولة؛ فيؤديه عن طيب نفس ومحبة وخضوع عبادةً لله تعالى، وكذلك يحمل معنى الذل والانكسار فيرغم العبد نفسه لأمر الله تعالى تعبدًا، وهذا لاختلاف المقامات الإيمانية، وفي كل حال يجب كف البصر عما هو محرم، وعما يحزن القلب من فتن الدنيا المباحة، ومما متع الله به من وسع عليهم ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا

مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[١٣١: طه] وإن كانت الآية خطابًا للرسول ﷺ إلا أننا ندخل فيه بلحن الخطاب أو فحواه.

٣. جاءت هذه الآية تدور في فلك مقاصد وكليات القرآن الكريم في حفظ العِرض، وتثبيت الأخلاق الإيمانية ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾، حيث وجه الخطاب للمؤمنين، وذيَّله بتهديد للمخالفين ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾، ليبقى المجتمع المسلم عفيفًا طاهرًا.

٤. أمر الله بغض البصر دون إغلاقه؛ لأن المقصود: خفض البصر أو الإشاحة به، وعدم تحديده، ولا يريد الله لنا العمى، بل السمو الإيماني، لكون الوصف والتحضيض كان به ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٥. ذكر "مِن" التبعيضية يفيد أنَّ النظر يقع تحت التكاليف الخمسة:

- الوجوب: مثل النظر في القرآن، والنظر إلى الوالدين..
- الندب: مثل النظر في آيات الله الكونية، وإلى كتب العلم..
- الإباحة: مثل النظر إلى وجه المخطوبة، والطريق..
- الكراهة: مثل النظر إلى الزينة الخارجية للمرأة الأجنبية، وإدامة النظر في متاع الدنيا وزينتها؛ لأنها تورث قساوة القلب..
- الحرمة: مثل النظر إلى الزينة الداخلية للمرأة الأجنبية، وعورة غير الزوج..

٦. تقديم غض البصر على حفظ الفروج؛ لأن النظر بريد الزنا، ومن مقدماته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [٣٢: الإسراء]، وعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «النَّظْرَةُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومَةٌ فَمَنْ تَرَكَهَا مِنْ خَوْفِ اللَّهِ أَثَابَهُ جَلَّ وَعَزَّ إِيمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ»"[١٤]، ومما اشتهر على ألسنة العامة قول أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته: "خدعوها":

" نظرة، فابتسامة، فسلامُ فكلام، فموعد، فَلِقاءُ "

فوائد غض البصر:

ولغض البصر فوائد جمة أوجزت في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾، وقد جمعها ابن القيم في كتابه القيم الداء والدواء[١٥] وهذا اختصار لما قال في منافع غض البصر:

أحدها: أنه امتثال لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده...

الثاني: أنه يمنع من وصول أثر السهم المسموم ـ الذى لعلَّ فيه هلاكه ـ الى قلبه.

الثالث: أنه يورث القلب أُنسًا بالله، وجمعيةً على الله، فإنَّ إطلاق البصر يفرِّق القلب، ويشتته، ويبعده من الله...

الرابع: أنه يقوِّي القلب ويفرحه، كما أنَّ إطلاق البصر يُضْعِفه ويُحْزِنه.

الخامس: أنه يُكسب القلب نورًا، كما أنَّ إطلاقه يكسبه ظُلمة، ولهذا ذكر سبحانه آية النور عقيب الأمر بغض البصر، فقال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [٣٠: النور] ثم قال أثر ذلك: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [٣٥: النور]..

السادس: أنه يورث الفراسة الصادقة، التي يُمَيِّز بها بين المُحِقِّ والمُبْطِل والصادق والكاذب.. ويفتح له باب العلم والإيمان، والمعرفة، والفراسة الصادقة المصيبة التي إنما تُنال ببصيرة القلب..

السابع: إنه يورث القلب ثباتًا وشجاعة وقوة، ويجمع الله له بين سلطان البصيرة والحجة، وسلطان القدرة والقوة... وقد جعل الله سبحانه العزَّ قرين طاعته، والذل قرين معصيته، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٨: المنافقون] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [١٣٩: آل عمران]...

الثامن: أنه يسد على الشيطان مدخله من القلب، فإنه يدخل مع النظرة، وينفذ معها إلى القلب أسرع من نفوذ الهواء في المكان الخالي...

التاسع: إنه يفرغ القلب للفكرة في مصالحه، والاشتغال بها، وإطلاق البصر يشتت عليه ذلك، ويحول عليه بينه وبينها، فتتفرط عليه أموره، ويقع في اتباع هواه، وفي الغفلة عن ذكر ربه، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [٢٨: الكهف]...

العاشر: أنَّ بين العين والقلب منفذًا أو طريقًا يوجب اشتغال أحدهما عن الآخر، يصلح بصلاحه ويفسد بفساده، فإذا فسد القلب فسد النظر، وإذا فسد النظر فسد القلب، وكذا في جانب الصلاح، فإذا خربت العين وفسدت خرب القلب وفسد، وصار كالمزبلة التي هي محل النجاسات والقاذورات والأوساخ، فلا يصلح لسكنى معرفة الله ومحبته والإنابة إليه، والأنس به والسرور بقربه فيه، وإنما يسكن فيه أضداد ذلك.

المسألة الثانية: "يغضضن":

أمر سبحانه وتعالى المؤمنين بغضِّ البَصَرِ، ووصْفُ الإيمانِ يعم المؤمنينَ

ذكرانًا وإناثًا، كما هي عادة الخطاب القرآنيّ؛ ولكن في هذا التكليف اختلف الأسلوب بتخصيص النساء بعد شمولهم في وصف الإيمان، فقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ [٣١: النور] وهذا التخصيص له لطائف منها:

١. المرأة في شريعتنا مخلوق طاهر مكلف له أهلية، وذمة مالية، تثاب وتعاقب، وفي حديث أم سليم رضي الله عنها قال ﷺ: "إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ"(١٦)

٢. "أردف أمر المؤمنين بأمر المؤمنات؛ لأن الحكمة في الأمرين واحدة، وتصريحًا بما تقرر في أوامر الشريعة المخاطب بها الرجال من أنها تشمل النساء أيضًا؛ ولكنه لما كان هذا الأمر قد يُظَنُّ أنَّه خاص بالرجال؛ لأنهم أكثر ارتكابًا لضدِّه وقع النص على هذا الشمول بأمر النساء بذلك أيضا"(١٧).

٣. غالبًا ما يأتي المثير والباعث من جهة النساء، والبواعث كثيرة منها:

أ. عدم غض بصرها؛ فلو نظر الرجل إلى المرأة ولكنها لم تقابله بمثلها؛ لكان الضرر أخف، ولكن مقابلة النظرة بالنظرة يورث القلب الشهوة، والعقل الفكرة، المؤدي إلى ذل المعصية.. ولذا قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنّ﴾ [٣١: النور]

ب. الخضوع بالقول، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [٣٢: الأحزاب]

ج. الخروج من البيت، قال تعالى:﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُن﴾[٣٣: الأحزاب]، والظهور أمام الرجال غير المحارم في غير ما ضرورة، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [٥٣: الأحزاب]

د. التبرج والسفور، قال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [٣٣: الأحزاب] وهذا يشمل التعطر، ومخالفة اللباس للمواصفات الشرعية، وخمار الرأس وشروطه

هـ- عدم الاكتراث بالطفل سواء كان مميزًا أم غير مميز، وكذلك غير أولي الإربة من الرجال.

و- ومما يدعو الرجل للنظر إلى المرأة ضرب المرأة رجلها بالأرض لتثير انتباه الرجال قال تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنّ﴾ [٣١: النور]

ز- الظهور أمام الفاسقات اللاتي يصفن النساء للرجال (سواء أزواجهنّ أم غيرهم).

المطلب الثاني
نظائر "غض" البصر في القرآن الكريم

التأسيس أولى من التأكيد، هذه قاعدة مهمة في تدبر القرآن الكريم، لا سيما وأن القول بالترادف يوحي بالحشو، والتطويل، والقرآن منزه عن هذا، وقد جاء في كتاب الله نظائرُ لمصطلح غض البصر مثل: قصر البصر، وخشوعه، وعملًا بالقاعدة السابقة يتبين أن كل لفظة تؤسس معنىً جديدًا، أورده في المسألتين الآتيتين:

المسألة الأولى: قاصرات الطرف:

كان الأمر من الله لعباده المؤمنين في الدنيا بغض البصر، أما في الآخرة، فلا أمرَ ولا تكليف، بل كان إخبارًا عن وصف نساء الجنة بأنهن:

أ. ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾ [٤٨: الصافات]

ب. ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ [٥٢: ص]

ج. ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [٥٦: الرحمن]،

قال الأصفهاني: "وامرأة قاصرة الطرف لا تمد طرفها إلى ما لا يجوز (١٨).

قال ابن فارس: "(قصر) القاف والصاد والراء أصلانِ صحيحان، أحدهما يدلُّ على ألا يبلُغَ الشّيءُ مدَاه ونهايتَه، والآخر على الحَبْس. والأصلان متقاربان.

فالأوّل القِصَر: خلافُ الطُّول...والأصل الآخر، وقد قلنا إنهما متقاربان: القَصْر: الحبس، يقال: قَصَرْتُه، إذا حبستَه، وهو مقصور، أي محبوس، قال الله تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُوراتٌ في الخِيَامِ﴾ [٧٢: الرحمن]. وامرأةٌ قاصِرَة الطَّرف: لا تمدُّه إلى غيرِ بَعلِها، كأنَّها تحبِس طرْفَها حَبْساً. قال الله سبحانه: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ [٥٦: الرحمن]."(١٩)، مع أن البصر يومئذ حديد يرى ـ برحمة الله وقدرته ـ اللهَ سبحانه، ويرى الملائكة، وكل الغيبيات؛ إلا أنه عند الأزواج لا يبلغ كل المدى بل يقتصر على الزوج، محبوس عليه، لا غيرة من نساء الجنة، ولا غيرة على زوج ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [٢٥: البقرة] وهذا من تمام نعيم الجنة.

وإقصار البصر في الجنة فطرة وسجية، حيث لا تكليف ولا ابتلاء، بل ثواب ونعيم، جزاء وفاقًا، من حفظ بصره في الدنيا جزاه اللهُ من جنس عمله، فرزقه زوجة قاصرة الطرف، ومع كونها عيناء حوراء إلا أنهم كما قال السدي: قصرن أطرافهن وقلوبهن وأسمعاهن على أزواجهن، فلا يُرِدْنَ غيرهم"(٢٠).

أما البصر في الدنيا فهو موضع تكليف وابتلاء، ويقع ضمن المسئولية الفردية

يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [٣٦: الإسراء] لهذا لم يجعله الله قاصرًا في الدنيا بل حمَّلنا أمانته.

المسألة الثانية: خَشْع الأبصار:

قال تعالى:﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾[٧: القمر]

أ. ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [٤٤: المعارج]

ب.﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ [٩: النازعات]

خَشْع الأبصار ذلها يوم القيامة، بين الله ﷻ حال الكافرين المعاندين يوم القيام، عقوبة لإعراضهم وتولِّيهم عن الهدى، فأمر نبيه ﷺ بقوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾[٦: القمر] فإنَّ حالهم يوم القيامة:﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾، وكذلك: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾، وفي الإخبار عن حالهم قال:﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ إهانة لهم جزاء وفاقًا. وخشوع الأبصار يوم القيامة من الكافرين ذل ومهانة، فخضوعهم وذلهم يوم القيامة لا ثواب عليه، بل صَغَار وهوان.

المسألة الثالثة: ﴿لا تمدن عينيك﴾:

نهي الله ﷻ عن إطالة النظر والتحديق إلى ما فتن به الكافرين من متاع الحياة الدنيا، إذ هو زائل وسيعذبهم به، وكذلك نهي عن تمني الحصول على مثل هذا المتاع؛ لأن الله ﷻ اختار للمؤمنين ما هو خير لهم، حيث آتاهم السبع المثاني والقرآن العظيم، الذي تحصل به الهداية ودخول الجنة والنجاة من النار. قال الإمام الطبري: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٨٨: الحجر]

يقول ﷻ لنبيه ﷺ: لا تتمنينّ يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعا للأغنياء من قومك، الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، يتمتعون فيها، فإن مِنْ ورائهم عذابًا غليظًا ﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: ولا تحزن على ما مُتعوا به فعجّل لهم. فإن لك في الآخرة ما هو خير منه، مع الذي قد عَجَّلنا لك في الدنيا من الكرامة بإعطائنا السبع المثاني والقرآن العظيم، يقال منه: مَدَّ فلانٌ عينه إلى مال فلان: إذا اشتهاه وتمناه وأراده. وذُكر عن ابن عيينة أنه كان يتأوّل هذه الآية قولَ النبيّﷺ: " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بالقُرآن"(٢١) أي من لم يستغن به، ويقول: ألا تراه يقول: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ* لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا

مِنْهُمْ...﴾[٨٧-٨٨: الحجر] فأمره بالاستغناء بالقرآن عن المال، قال: ومنه قول الآخر: من أوتي القرآن، فرأى أن أحدا أعطي أفضل مما أعطي فقد عظَّم صغيرا وصغَّر عظيما(٢٢)، وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ* وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ [٨٨-٨٩: الحجر]. أي: لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمنّ له إلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ أصنافاً من الكفار.(٢٣)، وقال القرطبي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ...﴾ [٨٨: الحجر]، الْمَعْنَى: قَدْ أَغْنَيْتُكَ بِالْقُرْآنِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ، أَيْ لَيْسَ مِنَّا مَنْ رَأَى أَنَّهُ لَيْسَ يَغْنَى بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْقُرْآنِ حَتَّى يَطْمَحَ بَصَرُهُ إِلَى زَخَارِفِ الدُّنْيَا وَعِنْدَهُ مَعَارِفُ الْمَوْلَى.(٢٤)، وقال ابن السعدي: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ [٨٨: الحجر] أي: لا تعجب إعجابا يحملك على إشغال فكرك بشهوات الدنيا التي تمتع بها المترفون، واغترَّ بها الجاهلون، واستغن بما آتاك الله من المثاني والقرآن العظيم. (٢٥)، وقال الزمخشري عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقى﴾ [١٣١: طه]

وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ أي نظر عينيك، ومدّ النظر: تطويله، وأن لا يكاد يرده، استحساناً للمنظور إليه وإعجاباً به، وتمنيا أن يكون له، كما فعل نظارة قارون حين قالوا: ﴿... يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [٧٩: القصص] حتى واجههم أو لو العلم والإيمان بـ﴿... وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحا..﴾ [٨٠: القصص] وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه، وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف، ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطباع، وأنّ من أبصر منها شيئا أحب أن يمدّ إليه نظره ويملأ منه عينيه: قيل وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ أى لا تفعل ما أنت معتاد له وضاربه، ولقد شدّد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك، لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة، فالناظر إليها محصل لغرضهم، وكالمغري لهم على اتخاذها أَزْواجاً مِنْهُمْ أصنافا من الكفرة.(٢٦)

المبحث الثالث
غض الصوت ومشتقاتها ونظائرها في القرآن
المطلب الأول: غض الصوت

المسألة الأولى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [١٩: لقمان]

والصوت وسيلة التخاطب والتواصل بين الكائنات الحية عمومًا، وبين الآدميين خصوصًا، ووسيلة التعبير عما في النفس من مشاعر وأحاسيس، سواء كان مع الله، أم مع الخلق أم مع النفس. ونبرة الصوت تعبِّر عن مزاج صاحبها، ومشاعره اتجاه المخاطَبين، ورحم الله سيد قطب إذ يقول: "والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس، واطمئنان إلى صدق الحديث وقُوَّتِه. وما يزعق أو يغلظ في الخطاب إلا سيء الأدب، أو شاك في قيمة قوله، أو قيمة شخصه، يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق! والأسلوب القرآني يرذل هذا الفعل ويقبحه في صورة منفِّرة محتقرة بشعة، حين يعقب عليه بقوله: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾.. فيرتسم مشهد مضحك يدعو إلى الهُزْءِ والسخرية، مع النفور والبشاعة"(٢٧).

من اللطائف البيانية والتربوية:

١. الأمر بالغض جاء في جملة موعظة لقمان عليه السلام لابنه، وهذا يدل على عناية الشرائع السماوية بالأخلاق عامة، وبالجماليات خاصة.

٢. جاء الأمر بصيغة (افعل) ليفيد الوجوب، والوجوب ليس مطلقًا لمجيء من التبعيضية، وهي اللطيفة التالية:

٣. مجيء "من" التبعيضية يفيد أنه ليس كل صوت يُغضُّ، وكما أن رفع الصوت عن الحاجة منكر، كذلك خفضه دون الحاجة تماوتٌ، ولهذا يدخل الجهر بالصوت ضمن الأحكام التكليفية:

- الجهر واجب كما في الخطابة والنذارة.
- الجهر مندوب كما في بعض الصلوات.
- الجهر مباح كما في البيع.
- الجهر مكروه كما في حضرة من هو أكبر سنًا.
- الجهر لغير حاجة حرام كما عند رسول الله ﷺ؛ ولذلك توعدهم الله بحبوط العمل فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ

بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [٢: الحجرات].

٤. تذييل الآية بقوله: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ بين شناعة رفع الصوت في غير موضعه.

٥. الاستعارة: قال الزمخشري: "فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير، وتمثيل أصواتهم بالنهاق، ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة –وإن جعلوا حميرًا وصوتهم نهاقًا– مبالغة شديدة في الذم والتهجين، وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه، وتنبيه على أنه من كراهة اللّه بمكان"(٢٨).

٦. قال الإمام الرازي: "لِمَ ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة المشي، نقول أما على قولنا إن المشي والصوت كلاهما موصلان إلى شخص مطلوب إن أدركه بالمشي إليه فذاك، وإلا فيوقفه بالنداء، فنقول رفع الصوت يؤذي السامع ويقرع الصِّمَاخ بقوة، وربما يخرق الغشاء الذي داخل الأذن، وأما السرعة في المشي فلا تؤذي، أو إن كانت تؤذي فلا تؤذي غير من في طريقه، والصوت يبلغ من على اليمين واليسار، ولأن المشي يؤذي آلة المشي، والصوت يؤذي آلة السمع، وآلة السمع على باب القلب، فإن الكلام ينتقل من السمع إلى القلب، ولا كذلك المشي".(٢٩)، ولأجل هذا الإيذاء قال رسول الله ﷺ: "أفضل الإسلام، مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ."(٣٠)

المسألة الثانية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [٣: الحجرات]

جاءت الآية الكريمة ضمن سورة الحجرات المدنية التي عنيت بالأخلاق مع الله ﷻ ورسوله ﷺ في حياته وبعد مماته، ومع غيرهما في حضرتهم أم في غيبتهم.

سبب النزول:

ومما يستأنس به في نزول الآية ما رواه أنس بن مالك ﷺ أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[٢: الحجرات]؛ جلس ثابت بن قيس ﷺ في بيته، وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل النبي سعد بن معاذ ﷺ، فقال: "يا أبا عمرو! ما شأن ثابت؟ أشتكى؟"، قال سعد: إنه لجاري، وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعد، فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال

ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ؛ فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ؛ فقال رسول الله ﷺ: "بل هو من أهل الجنة"(٣١)، فهذا الحديث يبين أن ثابت بن قيس ﷺ قد امتُحن قلبه، فتاب وأناب، واستحق البشرى بالجنة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٣: الحجرات]، وبقول الرسول ﷺ "بل هو من أهل الجنة".

اللطائف البيانية والتربوية:

١. هذه الآية جاءت بعد النهي في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [٢: الحجرات] "ترغيبًا في الانتهاءِ عمَّا نُهوا عنْهُ بعدَ الترهيبِ عنِ الإخلالِ بهِ، أيْ يخفِضونَها مراعاةً للأدبِ أوْ خشيةً منْ مخالفةِ النَّهي"(٣٢)، وهذا من حكمة الله ﷻ في تربية عباده، وإعانتهم على الحق، فهو سبحانه ﴿لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [٧: الزمر].

٢. ابتُدأ النص بـ {إِنَّ}؛ لتوكيد مضمون النص، وجعل خبرها اسم الإشارة الدال على التعظيم.

٣. المجيء بالفعل المضارع {يَغُضُّونَ}؛ ليفيد أن هذا الأدب سجية دائمة، وخلق مستمر مع رسول الله ﷺ، ومع من ينوبون عنه ﷺ كولاة الأمر والعلماء، وأصحاب الفضل.

٤. وبلحن الخطاب = مفهوم المخالفة أذكر مسألتين ذكرهما الشنقيطي في تفسيره "أضواء البيان":

"**المسألة الأولى:** اعلم أن عدم احترام النبي ﷺ المُشعر بالغض منه، أو تنقيصه ﷺ، والاستخفاف به، أو الاستهزاء به، ردة عن الإسلام وكفر بالله

وقد قال تعالى في الذين استهزءوا بالنبي ﷺ وسخروا منه في غزوة تبوك لما ضلت راحلته: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ* لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [٦٥-٦٦: التوبة]

المسألة الثانية: وهي من أهم المسائل، اعلم أنه يجب على كل إنسان أن يميز بين حقوق الله تعالى التي هي من خصائص ربوبيته، التي لا يجوز صرفها لغيره، وبين

حقوق خلقه كحق النبي ﷺ ليضع كل شيء في موضعه، على ضوء ما جاء به النبي ﷺ في هذا القرآن العظيم والسنة الصحيحة.

وإذا عرفت ذلك فاعلم أن من الحقوق الخاصة بالله التي هي من خصائص ربوبيته– التجاء عبده إليه إذا دهمته الكروب التي لا يقدر على كشفها إلا الله. فالتجاء المضطر الذي أحاطت به الكروب ودهمته الدواهي لا يجوز إلا لله وحده، لأنه من خصائص الربوبية، فصرف ذلك الحق لله وإخلاصه له هو عين طاعة الله ومرضاته وطاعة رسوله ﷺ ومرضاته، وهو عين التوقير والتعظيم للنبي ﷺ؛ لأن أعظم أنواع توقيره وتعظيمه هو اتباعه والاقتداء به في إخلاص التوحيد والعبادة له وحده ﷻ.٣٣).

٥. فعل غض الصوت يوحي بالاحترام والتواضع والأدب، بينما نظائر (غض) مثل: إسرار القول يوحي بالحيطة والضعف غالبًا، وكذلك الهمس، والخفت، والركز، والخشوع بالصوت.

٦. غض الصوت عند رسول الله ﷺ حري بالأتقياء ﴿الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، حتى أخرجت المحن والاختبارات من قلوبهم الشهوات، فنالوا التقوى باستجابتهم لله ورسوله، ولم يقدموا أمرًا على أمرهم، ولم يعترضوا على تشريع ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [٣٦: الأحزاب] هؤلاء هم ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾[١٧٢: آل عمران] فكان خير الجزاء ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

٧. في هذه الآية جاء الغض بدون "من" التبعيضية؛ لأن حضرة الرسول ﷺ محترمة، مهابة على الدوام، في ذاته، وأهل بيته، وأمره ونهيه في المنشط والمكره، في العسر واليسر، فيما نحب ونكره، في وجوده وغيبته، في حياته وبعد مماته ﷺ.

المطلب الثاني
نظائر غض الصوت

المسألة الأولى: إسرار القول:

السر كل ما أخفي من قول أو فعل، والذي يعنيني هنا: السر المتعلق بالقول، وجاءت الآيات به على النحو التالي:

- ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ [١٠: الرعد]
- ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ [٣: التحريم]
- ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [٩: نوح]
- ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ [٦٢: طه]
- ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [٣: الأنبياء]
- ﴿{وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [١٣: الملك]
- ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [٧: طه]
- ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [٨٠: الزخرف]

والقاسم المشترك بين جميع هذه الآيات متعلق بأصل الكلمة "السين والراء، يجمع فروعَه إخفاءُ الشيء. وما كان من خالصه ومستقرِّه. لا يخرج شيءٌ منه عن هذا."(٣٤) ولا يتعلق بقوة الصوت وضعفه كما هو الحال في (غضّ) التي تعني خفض قوة الصوت أمام الآخرين.

المسألة الثانية: خشْع الصوت:

"الخاء والشين والعين أصلٌ واحدٌ، يدلُّ على التَّطامُن. يقال خَشَع، إذا تطامَنَ وطأْطأَ رأسَه، يخشَع خُشوعاً. وهو قريبُ المعنى من الخضوع، إلاّ أنّ الخُضوع في البدَن، والإقرارُ بالاستخذاء، والخشوعَ في الصَّوتِ والبصر"(٣٥). ومما يستفاد من المعنى اللغوي أن خشوع الصوت متعلَّقه الهوان والضعف، وهو ما تبينه آية: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [١٠٨: طه] الآية تتحدث عن مشهد من مشاهد يوم القيامة، وما أدراك ما يوم القيامة، فيه الخضوع والقهر لسلطان الله ﷻ.

المسألة الثالثة: همس الصوت:

الهمس: الصوت الخفي، وخفاء الصوت متعلقه الخوف، والضعف، ولوم النفس على فعالها، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [١٠٨: طه] وهذا مما يلبسهم الله من الذل والصغار، ولأنهم في حضرت الواحد القهار، وبما كسبت أيديهم. قال الإمام فخر الدين الرازي: خشعت الأصوات من شدة الفزع وخضعت وخفيت فلا تسمع إلا

همسا وهو الذكر الخفي، قال أبو مسلم: وقد علم الإنس والجن بأن لا مالك لهم سواه فلا يسمع لهم صوت يزيد على الهمس وهو أخفى الصوت ويكاد يكون كلاما يفهم بتحريك الشفتين لضعفه. وحق لمن كان الله محاسبه أن يخشع طرفه ويضعف صوته ويختلط قوله ويطول غمه.(٣٦)

المسألة الرابعة: ركز القول:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾[٩٨: مريم]، الركز هنا الصوت عامة كما قال الطبري "يقول تعالى ذكره: وكثيرًا أهلكنا يا محمد قبل قومك من مشركي قريش، من قرن، يعني من جماعة من الناس، إذا سلكوا في خلافي وركوب معاصيّ، مسلكهم هل تحسّ منهم من أحد: يقول: فهل تحسّ أنت منهم أحدًا يا محمد فتراه وتعاينه ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ يقول: أو تسمع لهم صوتًا، بل بادوا وهلكوا، وخلت منهم دورهم، وأوحشت منهم منازلهم، وصاروا إلى دار لا ينفعهم فيها إلا صالح من عمل قدّموه، فكذلك قومك هؤلاء، صائرون إلى ما صار إليه أولئك، إن لم يعالجوا التوبة قبل الهلاك"(٣٧). ثم ذكر روايات تؤكد هذا المعنى، ثم قال:" والركز في كلام العرب: الصوت الخفيّ، كما قال الشاعر:

فَتَوجَّسَتْ رِكْزَ الأنِيسِ فَراعَها... عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ والأنِيسُ سَقامُها"(٣٨)،(٣٩).

المسألة الخامسة: خفت الصوت:

الخفت كما قال ابن فارس: (خفت) الخاء والفاء والتاء أصلٌ واحدٌ، وهو إسرارٌ وكتمان. فالخَفْتُ: إسرار النُّطْق. وتخافَتَ الرّجُلانِ. قال الله تعالى: ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [١٠٣: طه]. ثم قال الشاعر:

أُخاطِبُ جَهْراً إذْ لهنّ تَخافُتٌ وشَتَّانَ بينَ الجَهْرِ وَالمَنْطِق الخَفْتِ"(٤٠)،(٤١)

وعلى هذا المعنى جاءت الآيات القرآنية التالية: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلِ﴾ [١١٠: الإسراء]، روى البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾، قَالَ نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ فَكَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ فَإِذَا سَمِعَهُ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أَيْ بِقِرَاءَتِكَ فَيَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ، فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعُهُمْ ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾.(٤٢)، ورُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قَالَتْ: نَزَلَتْ

هَذِهِ الْآيَةُ [وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا] فِي الدُّعَاءِ"(٤٣).

تبين من خلال سبب نزولها أن خفت الصوت كان سدًا للذريعة، وخوفًا على رجال الدعوة، وتبين من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن من الأدب مع الله أن نخاطبه مخاطبة القريب السميع الذي لا تخفى عليه خافية ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [١٨٦: البقرة]

١. ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا(١٠٢) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ [١٠٢، ١٠٣: طه]، ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾. أي: يسرون القول بينهم، يقولون بعضهم لبعض، إن لبثتم في الدنيا إلا عشراً. وأصل الخفت في اللغة السكون. أي: ما لبثتم من النفخة الأولى إلى البعث، إلا عشراً، وبين النفختين أربعون سنة"(٤٤).

٢. ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ* أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾ [٢٣-٢٤: القلم]

انطلق الأشقياء البخلاء وهم يخفون عن الخلق قرارهم بمنع المساكين حقوقهم، وهم لا يعلمون أن السر عند الله علانية؛ فعاقبهم الله على سوء سريرتهم بحرق جنتهم ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [٢٠: القلم].

المسألة السادسة: القول اللين:

قال أبو العالية: قولوا لهم الطيب من القول، وجازوهم بأحسن ما تحبون أن تجازوا به. وهذا كله حض على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قول للناس لينا ووجهه منبسطا طلقا مع البر والفاجر، والسني والمبتدع، من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه، لأن الله تعالى قال لموسى وهارون: ﴿فقولا له قولاً لينا﴾. فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه. وقال طلحة بن عمر: قلت لعطاء إنك رجل يجتمع عندك ناس ذوو أهواء مختلفة، وأنا رجل في حدة فأقول لهم بعض القول الغليظ، فقال: لا تفعل! يقول الله تعالى:﴿وقولوا للناس حسناً﴾. فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى فكيف بالحنيفي(٤٥).

وقال القرطبي: قُلْتُ: القول اللين هو القول الذي لا خشونة فيه، يقال: لان الشيء يلين لينا، وشيء لين ولين مخفف منه، والجمع ألينا. فإذا كان موسى أمر بأن يقول لفرعون قولا لينا، فمن دونه أحرى بأن يقتدي بذلك في خطابه، وأمره بالمعروف في كلامه. وقد قال الله تعالى: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ [٨٣: البقرة] (٤٦).

وقال ابن السعدي: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا﴾ أي: سهلاً لطيفاً، برفق ولين وأدب في

اللفظ من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال، ﴿لَعَلَّهُ﴾ بسبب القول اللين ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ ما ينفعه فيأتيه، ﴿أَوْ يَخْشَى﴾ ما يضره فيتركه، فإن القول اللين داع لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه، وقد فسر القول اللين في قوله: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى* وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [١٨-١٩: النازعات] فإن في هذا الكلام من لطف القول وسهولته وعدم بشاعته ما لا يخفى على المتأمل فإنه أتى بـ "هل" الدالة على العرض والمشاورة التي لا يشمئز منها أحد ودعاه إلى التزكي والتطهر من الأدناس التي أصلها التطهر من الشرك الذي يقبله كل عقل سليم ولم يقل "أزكيك" بل قال "تزكى" أنت بنفسك ثم دعاه إلى سبيل ربه الذي رباه وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة التي ينبغي مقابلتها بشكرها وذكرها فقال {وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} فلما لم يقبل هذا الكلام اللين الذي يأخذ حسنه بالقلوب علم أنه لا ينفع فيه تذكير فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر(٤٧).

وفي كتاب التيسير في أحاديث التفسير: وقوله تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [٤٣-٤٤: طه] يستفاد منه أمران:

الأمر الأول: أن الدعوة إلى الله ينبغي أن تكون مصحوبة بالتفاؤل والرجاء، لا بالتشاؤم واليأس، بحيث يكون الداعي قوي الثقة بالله، قوي الثقة بفعالية الدعوة وتأثيرها في النفوس، والوصول بها إلى النتيجة المرجوة.

الأمر الثاني: أن الدعوة إلى الله ينبغي أن تكون لغتها لغة مهذبة، وأن يكون أسلوبها أسلوبا لينا، فلا فحش ولا غلظة ولا جفوة، ونفس التوجيه الذي تلقاه موسى وهارون عليهما السلام تلقاه خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، إذ خاطبه ربه قائلا: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[١٢٥: النحل]. (٤٨)

المبحث الرابع
غيض الماء ونظائرها في القرآن
المطلب الأول: غيض الماء

مسألة: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [٤٤: هود]

اللطائف البيانية والتربوية:

١. قال ﷻ: ﴿غِيضَ﴾ ولم يقل غاض؛ لأنه لم يغض من ذات نفسه، وذلك لأن الماء إنما فار وتفجرت عيونه، وانفتحت أبواب السماء ﴿بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾[١١: القمر] بأمر من

الله، فما كان له أن يغفل عن أمر الله ﷻ أو يغض من تلقاء نفسه.

٢. قال ﷻ:﴿غِيضَ﴾ وهو من النقص ولم يقل: ذهب ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [١٨: المؤمنون]، ولم يقل: غار ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾[٤١: الكهف] فيكون عذابًا؛ لأن الماء إذا ذهب في الأرض أو غار فلا يستطاع.

٣. الماء الذي هو مصدر الحياة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [٣٠: الأنبياء] أودعه الله في الأرض بقدرته، فلا يقدر عليه إلا بمشيئته، وأنزله من السماء برحمته، فلا يعلم كيله إلا الله، ولا مسخر له إلا الله الذي ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [١٢: الطلاق]، وقد أخطأ من قال بندرة الموارد، بل ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [٤٩: القمر] وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [٢١: الحجر]

٤. يرسل الله الماء رحمة وعقابًا، ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٢: فاطر] أرسله على قوم نوح عذابًا ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [١٤: العنكبوت] وأمسكه عن نوح ومن معه رحمة منه ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [١١٩: الشعراء] فلما تم أمر الله من الإهلاك والنجاة، ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [٤٤: هود] فله الحمد والمنة.

المطلب الثاني
نظائر غيض الماء

المسألة الأولى: الغور:

١. ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ [٤١: الكهف].

حاجج المؤمن الكافر صاحب الجنتين، ليبين ضعفه، وأن غروره غير مبرر، ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [٢٩: الحديد] والأولى بك ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [٣٩: الكهف] فلا تتكبر عليّ {إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [٣٩: الكهف] فأنت امرؤ ضعيف، فما عساك أن تفعل، إذا تغيرت الحال فأغناني الله، وأرسل على جنتك ﴿حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [٤٠: الكهف] ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ [٤١: الكهف] فلما وقع المحذور ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [٤٢: الكهف].

وهذه الحقيقة يغفل عنها كثير من الناس يسيرون على نهج قارون الذي

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [٧٨: القصص] والأصل رد الفضل لصاحبه كسليمان عليه السلام لما رأى عرش بلقيس مستقرًا عنده ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [٤٠: النمل] قبل فوات الأوان.

٢. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [٣٠: الملك]

قل يا محمد للكفار الذين لا يؤمنون أن الملك بيد الله، وأنه عليم بذات الصدور، وأنه أهلك السابقين، وأنه لا ناصر إلا هو، ولا رازق إلا هو، وأن البعث حق سألهم ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ فيأتي الإقرار من أعماق الفطرة ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [٣٠: الروم] يأتينا به الله رب العالمين.

المسألة الثانية: الذهاب:

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [١٨: المؤمنون]

بعض الناس يظن أن عملية تبخر الماء من المسطحات المائية وتشكلها في السحب، وإنزالها من المزن حادثة طبيعية. التبخر نتيجة الحرارة، والمطر نتيجة التيارات الهوائية الباردة، وما علموا أن هذا بقدرة الله وقدره الكوني ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٤٠: النحل] فكل ما أوجده الله قادر على الذهاب به ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [٢٣: الأنبياء] فوجب الإيمان أن كل شيء من عند الله ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[٢١: الحجر]، ووجب الشكر ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٧: إبراهيم].

المبحث الخامس
غيــض الأرحــام

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [٨-٩: الرعد]

علم الأرحام من العلوم الغيبية الخمسة التي اختص بها الله في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [٣٤: لقمان]، وربما تجد من يشكك في هذا، ويقول علم الأرحام متاح، وبالإبداع العلمي نعرف الحمل من عدمه،

وعدد الأجنة، وأجناسها، وأطوارها الخَلقية، وسويّها من متشوهها في الخلقة..

لا شك أنه كلام صحيح؛ لكنه جزء يكاد ألا يذكر من علم الأرحام ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [٧: الروم]، علم الأرحام أعم وأشمل، فكم بويضة في مبيض الرحم على التفصيل؟ لا يعلمه إلا الله، هل الجنين من أهل السعادة أم من أهل الشقاء؟ سواء في الدنيا أم في الآخرة هذا علمه عند الله، من كم خلية يتكون الجنين؟ كم من الأيام سيعيش في الرحم وخارجه؟ ما هي أرزاقه؟..

مقدار دم الحيض من علم الأرحام، عدد مرات الحيض من علم الأرحام، عدد مرات النفاس من علم الأرحام، عدد الحيوانات المنوية التي تدخل الرحم من علم الأرحام.. وعلم الإنسان علم محدود، فيعلم المختص بالأرحام التي يجري لها كشف طبي، وعلم الله مطلق يعلم كل ما في الأرحام في جميع المخلوقات آدميها وجنيها وبهيمها البري منها والبحري، الثدييات منها، وغير الثدييات..

اللطائف البيانية والتربوية:

١. "«وما» في ﴿مَا تَحْمِلُ﴾، ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾، ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ إما موصولة، وإما مصدرية، فإن كانت موصولة، فالمعنى: أنه يعلم ما تحمله من الولد على أي حال هو... وإن كانت مصدرية:

أ. فالمعنى أنه يعلم حمل كل أنثى، ويعلم غيض الأرحام وازديادها، لا يخفى عليه شيء من ذلك، ومن أوقاته وأحواله.

ب. ويجوز أن يراد غيوض ما في الأرحام وزيادته، فأسند الفعل إلى الأرحام وهو لما فيها، على أنّ الفعلين غير متعدّيين"(٤٩).

٢. الفعل المضارع ﴿يَعْلَمُ﴾، ﴿تَحْمِلُ﴾، ﴿تَغِيضُ﴾، ﴿تَزْدَاد﴾ يدل على المستقبل فعلم الله أزلي دائم، فناسب التعقيب بقوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، وعمل الأرحام باقٍ ببقاء النوع الأنثوي.

٣. إسناد الحمل والغيض والازدياد للأرحام مجاز نسبته المحلية، ولكن الفاعل الحقيقي هو الله ﷻ فناسب أن تكون فاصلة الآية: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾؛ لأن الحمل والنقص فيه والزيادة بقدر من عند الله.

٤. ومن وجه آخر: الأرحام فيها النقص والكمال في أداء الوظيفة المنوطة بها، فالنقص عيب ومرض تجب مداواته، وكذلك الزيادة عن الحد، فإسناد الفعل للأرحام إشارة إلهية، إن قصرت الأرحام في وظيفتها فداووها.

٥. عدم الاغترار بالثورة المعرفية، والاكتشافات العلمية فإنها من علم الله الذي أذن به ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [٢٥٥: البقرة] فإذا رأينا شيئًا من علم أو آثاره، فلنقل الحمد لله الذي ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [٥: العلق]، ونرجع الفضل لله ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [٣٢: البقرة] فهو الذي خلق الدماغ وأعطاه القدرة على التفكير والتأمل والتدبر.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث للعالمين خاتما للنبوات والرسالات، وبعد، فالحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا البحث، وهو بعنوان (الغض ومشتقاته ونظائره في القرآن الكريم– دراسة موضوعية) حيث تكون البحث من: مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة، بينت في المقدمة: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وهيكل البحث. وفي المبحث الأول: عرفت الغض لغة واصطلاحا، وذكرت ورود مادة "غض" في السياق القرآني. وفي الثاني: بينت أنواع غض البصر، وأحكامه، وفوائده، وآثار تركه، وبينت –كذلك– نظائر غض البصر، وهي: قصر الطرف، وخشع الأبصار، ولا تمدن عينيك. وفي الثالث: أوضحت المقصود بغض الصوت، ومشتقاته، ونظائره، فتبين لي أن المقصود بغض الصوت: خفضه وعدم الجهر به فوق الحاجة إلا لضرورة كالنداء للصلاة، وأما نظائره فهي: إسرار القول، وخشع الصوت، وهمس الصوت، وركز القول، وخفت الصوت، والقول اللين، وفي الرابع: أظهرت معاني غيض الماء ونظائرها، فالغيض بمعنى: النقص والذهاب، ونظائره: الغور والذهاب. وفي المبحث الخامس: بينت المقصود بغيض الأرحام، وهو ما تنقصه مدة حمل الجنين عن تسعة أشهر، أو ما تخفيه الأرحام من الأجنة– أيضا.

هذا ما وفقني الله ﷻ إلى إتمامه وبيانه، فإن أصبت فبفضل الله وحده لا شريك له، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم، والحمد لله رب العالمين.

التوصيات:

بعد أن منّ الله ﷻ علي بإتمام هذا البحث كان لابد من تقديم بعض التوصيات منه؛ لذلك أوصي بما يلي:

١- أوصي الباحثين وطلبة العلم أن يعكفوا على دراسة تفسير القرآن الكريم، وأخص

منه التفسير الموضوعي، وأن يختاروا الموضوعات التي تعالج الآفات ويحتاجها المجتمع بشكل فوري للتقرب إلى الله، كموضوع غض البصر وغض الصوت.

٢- أوصي السادة العلماء، والدعاة العاملين، أن يحددوا القضايا الرئيسة التي يحتاجها المجتمع، ويحددوا الآيات والأحاديث والأساليب والأنشطة التي تعالج هذه القضايا.

٣- أوصي بنشر ثقافة قراءة القرآن، وفهم معانيه، والعمل بما فيه، وحفظه، وتعليمه، في كل الأوقات، وكل الأماكن.

٤- أوصي أهل القرآن أن لا يمدوا أعينهم إلى ما متع الله به الكافرين من زينة الحياة الدنيا، ولا يطيلوا النظر إلى زخارف دورهم، ولا إلى فخامة ركوبهم، ولا يظهروا إعجابهم بها ولا استحسانهم لها؛ وليستغنوا بما رزقهم الله من القرآن والسنة عما سواهما؛ فثواب ذلك خير وأبقى.

هوامش البحث:

(١) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (توفي:١٧٠هـ)، كتاب العين، الناشر :دار ومكتبة الهلال تحقيق:د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي،ج٤، ص٣٤١

(٢) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (توفي: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين،بيروت، طبعة:رابعة ١٤٠٧هـ١٩٨٧م،ج٣، ص١٠٥٩

(٣) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (توفي: ٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر طبعة: ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، ج٤، ص٣٠٧ .

(٤) العلامة أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (توفي: ٥٠٣هـ)، معجم مفردات غريب ألفاظ القرآن، ضبطه وصححه وخرج آياته وشواهده إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، ص٤٠٤ .

(٥) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (توفي: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقق: شعيب الأرناؤوط-عادل مرشد، وآخرون إشراف:د عبد الله بن عبد المحسن التركي نشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى،١٤٢١هـ -٢٠٠١ م، وقال المحقق: إسناده حسن من أجل عاصم-وهو ابن أبي النجود-فهو حسن الحديث،ج١،ص٢١١، رقم(٣٥)

(٦) محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى:٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر-بيروت،الطبعة: الثالثة-١٤١٤هـ،ج٧، ص١٩٦.

(٧) أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن يوسف عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (توفي: ٧٥٦ هـ)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ج٣، ص١٦٦.

(٨) أيوب بن موسى الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي (توفي:١٠٩٤هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق:عدنان درويش-محمد المصري الناشر:مؤسسة الرسالة- بيروت، ص٦٧١ .

(٩) انظر: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (توفي: ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الناشر: الدار التونسية للنشر- تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، ج١٨، ص٢٠٤.

(١٠) انظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (توفي:٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،الناشر: دار الكتب المصرية–القاهرة،الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، ج٩، ص٤١ .

(١١) انظر: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (توفي: ٤٥٠هـ)، تفسير الماوردي (النكت والعيون)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ج٢، ص٤٧٤ .

(١٢) انظر: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (توفي: ١٥٠هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاتة، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ، ج٢، ص٣٦٨-٣٦٩ .

(١٣) عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (توفي:٩١١هـ/١٥٠٥م)،الدر المنثور في التأويل بالمأثور، تحقيق دار الفكر، طبعة:١٩٩٣مبيروت،ج٦، ص١٧٦، ونسبه السيوطي لابن مردويه.

(١٤) أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (توفي: ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية– بيروت الطبعة: الأولى،١٤١١ هـ- ١٩٩٠م،ج٤، ص٣٤٩، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ .

(١٥) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (توفي: ٧٥١هـ)، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي(الداء والدواء)، الناشر:دار الكتب العلمية–بيروت،ص١٢٧

(١٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٤٣، ص٢٦٥ .

(١٧) التحرير والتنوير، ج١٨، ص٢٠٥ .

(١٨) مفردات غريب القرآن الأصفهاني، ص ٤٠٥ .

(١٩) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ج٥، ص٩٧ .

(٢٠) أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (توفي: ٤٣٧هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الشارقة الطبعة:الأولى،١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م،ج١٠،ص٦٢٧٢

(٢١) أخرجه البخاري: باب قول الله تعالى:"وأسروا قولكم أو اجهروا به."[الملك: ١٤]،صحيح البخاري، الجامع الصحيح المختصر٦/٢٧٣٧، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي(توفي:٢٥٦هـ) الناشر: دار ابن كثير، اليمامة- بيروت،الطبعة الثالثة،١٤٠٧- ١٩٨٧

(٢٢) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (توفي: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ج١٧، ص١٤١

(٢٣) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (توفي: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة: الثالثة- ١٤٠٧هـ، ج٢، ص٥٨٨

(٢٤) تفسير القرطبي، ج ١٠، ص٥٦

(٢٥) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (توفي: ١٣٧٦هـ)،تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الرسالة، طبعة: أولى١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، ج١، ص٤٣٤

(٢٦) تفسير الكشاف، ج٣، ص٩٧-٩٨ .
(٢٧) سيد قطب، في ظلال القرآن (توفي: ١٩٦٦م)، طبعة دار الشروق، ج٥، ص٢٧٩٠ .
(٢٨) تفسير الكشاف، ج٣، ص٤٩٨ .
(٢٩) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (توفي: ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، نشر: دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ، ج٢٥، ص١٢٣ .
(٣٠) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، بابُ أي الإسلام أفضل؟، (١/١١، رقم ١١)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.
(٣١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله، (١/١١٠، رقم ١٨٧)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، عدد الأجزاء: ٥.
(٣٢) أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (توفي: ٩٨٢هـ)، تفسير: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج٨، ص١١٧ .
(٣٣) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (توفي: ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، نشر: دار الفكر بيروت - لبنان ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م، ج٧، ص٤٠٤ .
(٣٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ج٣، ص٦٧ .
(٣٥) المرجع السابق، ج٢، ص١٨٢ .
(٣٦) مفاتيح الغيب، التفسير الكبير ١٠١/٢٢
(٣٧) تفسير الطبري، ج١٨، ص٢٦٤ .
(٣٨) المرجع السابق، ج١٨، ص٢٦٥ .
(٣٩) أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (توفي: ١٧٠هـ)، جمهرة أشعار العرب، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي الناشر: نهضة مصر، ص٢٥٦، والبيت من معلقة لبيد بن ربيع العامري.
(٤٠) معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص١٦٣ .
(٤١) البيت لم ينسبه أحد من أهل المعاجم.
(٤٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {وأسروا قولكم أو اجهروا به، إنه عليم بذات الصدور، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير}، (٩/١٥٣، رقم ٧٥٢٥).
(٤٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به، إنه عليم بذات الصدور، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (٩/١٥٤، رقم ٧٥٢٦).
(٤٤) الهداية الى بلوغ النهاية، ج٧، ص٤٦٩٨ .
(٤٥) تفسير القرطبي، ج٢، ص١٦ .
(٤٦) المرجع السابق، ج١١، ص١٩٩ .
(٤٧) تفسير ابن السعدي، ج١، ص٥٠٦ .
(٤٨) محمد المكي الناصري (توفي: ١٤١٤هـ)، التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، ج٤، ص٦٦ .
(٤٩) تفسير الكشاف، ج٢، ص٥١٥ .